

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٤ —

« إذا لم تكن البطالة ناشئة عن نفس في انشغاف نفسه ، فهي ناجة من غير شك عن خطأ في روح تربيته !! » (١)
 « إن من يألف اليوم من حل الفأس ومن تلوث يديه بالطين لن يصلح غداً لإصلاح أمره إذا ما ضاقت به الحياة وتنا عنه القدر ! »
 « لقد أفتدناهم الحاس وأسفاه ، وجملناهم يقبلون على العلم خمود دائب ، وتعجز متراصل ، وبطء شديد ! »
 « من رسالة الدكتور جاكسن »

٤ — المتعلمون العاطلون

تبينت في المقال السابق بعض نواحي الضعف في التعليم الاثرائى وبعض وجوه الاصلاح ، وسترى اليوم ناحية أخرى جديرة بالدرس والملاحة نظراً لما فيها من خطر شديد على كيان المجتمع القائم حاضره ومستقبله :

١ — العاطلون

أرى أولئك المتعلمين العاطلين ؟ أتسمع عن جيوشهم في كل مدينة من مدن القطر ؟ أتلاحظ حقدهم على كل حكومة لم تسلكهم في سلك الموظفين المحدودين ؟ أتبين تقاعدهم وتسكهم ومجزمهم عن المجاهدة في الحياة إزاء الأجنبي الدخيل ؟ ثم نفورهم كبراً وتبهاً من أعمال البيع والشراء وغير البيع والشراء ، مما يظنون أنهم لم يخلقوا له في كثير ولا قليل ؟

ذلك هو المشكل الذي نبسطه اليوم ونعالجه على ضوء التربية والتعليم ! والذي ينبغي على الدولة أن توليه من عنايتها نصيباً موفوراً نظراً لأن أولئك المتعلمين العاطلين خير تربة صالحة لإنباء المبادئ والأفكار التي فيها كالت الخطر كل الخطر على كيان المجتمع نفسه حكومتاً وشعباً !

ترى هم نجمت هذه البطالة ؟ ومن هو المسئول عنها ؟ أفى

(١) هذا إذا نحننا الأزمات الاقتصادية جانباً ...

البلد أزمة اقتصادية عنيفة فهم لا يجدون فيها عيشاً ؟ وما بال أولئك « الأجانب » يملأون التاجر والمصارف ويقومون بمختلف المشروعات وينجحون فيها كل النجاح ؟ ألت ترى إلى الرومي أو غيره يدخل البلد فقيراً معدماً ثم يندو بمد سنين صاحب متجر عظيم ومُلك أعظم ؟ إن الخير في هذا البلد كثير ، والعيش يسير ، ولكن العيب والأسفاه في التعلم نفسه وما قد تُطبع عليه من كره للعمل والعاملين ، وعشق « للدويان » الثابت والراتب المضمون !! ولذلك يقول الدكتور « جاكسون » : إن الخطأ إنما يقوم في روح التربية المعطاة وما يوحيه من أن المدرسة تأخذ بالأيدي من « الطين » حيث الجهد والنصب ، إلى « المكتب » حيث الراحة والكلام !! ألت تسمع أنشودة « الوظيفة » من أمك وأبيك وأقاربك وذويك ؟ ألت ترى « للموظف » قدراً في المجتمع دونه قدر التاجر أو الصانع أو الفلاح ؟ ألت ترى طابع « الحكومة » يميز حامله ويملأه عجباً وتبهاً وزهواً وغرماً ؟ ألت ترى حولك كثيرين ممن يرون في « العمل » حطلة لهم ولعائلاتهم مع أنه قد يكون السبيل الوحيد لعاشهم ؟ وأخيراً ألت تشاهد المثات من خريجي المدارس الزراعية والتجارية والصناعية يتكالبون على الوظائف الفنية وغير الفنية ، مع أن الدولة قد أنفقت عليهم الأولوف لتجعل منهم طبقة فنية راقية تأخذ بيد مرافق البلد الاقتصادية وترقيها ، ومحررها من قيود الجهل والتقاليد ، وتطبعها بالطابع القوي المنشود؟ (١)

٢ — العرج

تلك إذا هي « الفكرة الخاطئة » التي يجب أن نححوها محواً بمختلف أساليب التربية والاقتصاد ، لأن التربية لا تستطيع

(١) والعجيب أن العشرات من هؤلاء الفنيين ممن يدخلون الحكومة لا يشفقون بأعمال تنفق وتقاتهم ! فكثير منهم كتاب لا أكثر ولا أقل ، وكثير غير هؤلاء يمانون في أعمال تخالف أعمالهم الفنية الخاصة بخاتمة كبيرة أو صغيرة . ومنهم من لا يتاح له استعمال ثقافته إلا في ناحية ضيقة محصورة كما هو الزراعة الذين يغزرون الأشجار غيب ، أو ينهبون الحكومة إلى دود القطن ... ! ومعنى ذلك أننا تنفق الأولوف المؤلفة في بناء المدارس الفنية وفي تعليم المثات دون أن نعمل على استغلال هذه الثقافة الفنية الواسعة إلى أبعد حدودها ... ألت ترى هذا عجبا ؟ أعرف أحد خريجي المدارس الصناعية الذين يسبوا من الوظيفة فنصحه البعض أن يؤسس مصنعا للسبك فأسسه بالفعل ونجح فيه نجاحاً مبشراً بكل فوز ، ولكن حين أسأله عن رأيه في الوظيفة أسمع منه ميلاً شديداً إلى ترك المصنع والاتعاق بها ... !

مع تعديل المقرر أو بالأحرى تخفيفه تخفيفاً مناسباً . فثلاً في
السنين الأولى والثانية : عشرون درساً للغات من أربعة وثلاثين ،
و درس رسم واحد ، و درس أشغال لا يقوم به إلا القلائل لا يفيدون .
فاذا تمتع من استعمال اللغة في تجارة عملية بدلا من قصرها على
هذه الحصص الكثيرة التي لا تؤدي بالطلاب بمدت تسع سنوات
إلى القدرة على كتابة خطاب تجارى صحيح النحو مستقيم المعنى؟^(١)
وماذا يحول بين الطلبة وبين جمعهم لحروف مجلهم وطبعهم لها
بأنفسهم؟؟ ولم لا يزرع الطلبة حديقة المدرسة ويسهرون على
تهذيب أغصانها وإروائها بدلا من رجل واحد تعينه المدرسة
لهذا الشأن؟ وكيف يتكلم المدرس عن التذباب وخطره والمدرسة
ذاتها لا تعمل على منعه من دخول الفصل؟؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب أن يعنى التعليم
بفرس الروح الاجتماعية عن طريق « دراسة المشروعات »
والجميات العلمية والرياضية والفنية التي تسودها روح التعاون
والحبة والتضحية واحترام القانون^(٢) ، ويجب أن يتاح للمدرس
من الوقت ما يساعده على الاشراف التام على أعمال هذه الجمعيات
و « الميش » فيها كمرشد حكيم ؛ هذا مع غرس السرعة
والابتكار والدوق في نفوس الطلبة تلبية لحاجات « رجال الأعمال »
الذين يريدون كل حاضر البديهة ، حكيم التصرف ، جميل الدوق
وديع المحضر ، مطيعاً للقانون :

٥ - التوجيه المرهني

ثم لا ينبغي أن يقف الأمر عند ذلك . إن مصر لفي حاجة
كبرى إلى توجيه أبنائها توجيهاً سليماً يتفق وميولهم النفسية ،
ويضمن على الأقل نجاحهم في عملهم وتوافقهم إن لم تقل نبوغهم
فيها . والشبان عندنا لا يطرقون أبواب المدارس المختلفة جرياً
وراء إشباع ميولهم الشخصية بقدر ما يطرقونها تحقيقاً لمطالبهم
القاصرة في مهن محترمة كالتقضاء أو الطب أو المحاماة ! أليس عندنا
من يدخل الحقوق ليكون نائباً أو وزيراً ، ثم يفشل أخيراً في

(١) وهم يدخلون في أمريكا الكتابة على الآلة مع دراسة اللغة نحواً
وهجاء فيقومون بثلاث عمليات في عملية واحدة
(٢) وفي المدارس أساليب من هذا النشاط كثيرة ، ولكن ما يزال
يقصها الروح الاجتماعى الصحيح بحيث تكاد تكون قشوراً أكثر منها لباً

وحدها أن تصلح كل شئ . يجب أن محسن الأسواق القائمة ،
وأن نفتح أسواقاً جديدة ، وأن نعمل كما يقول الأستاذ جاكسون
على زيادة « الطلب » ليرتفع أجر العامل وينزبه بالعمل وترك
الحكومة ، كما يجب كذلك أن نجعل مدارسنا الفنية مسلحة بكل
تجديد كهربائى أو ميكانيكى لتمتطيع أن تواجه حاجات العصر ،
وأن تصمد لمنافسة المحصولات الرخيصة التي تظفرنا بها أوروبا
وأمریکا واليابان ، وأن نحول مدارسنا الإلزامية والابتدائية
والثانوية إلى نظام آخر يسمح بكثير من « العمل » اليدوى مادام
المطلوب من خريجي هذه المدارس أكثر عدداً وأمدح خطراً
من خريجي المدارس الفنية . أفى المدارس الإلزامية « عمل » بالمعنى
الساذج البسيط ؟ وهل في المدارس الابتدائية غير ساعتين للعمل
في الأسبوع منفصلتين تماماً في « عملهما » عن المواد الأخرى ؟
وهل يعدو « العمل » في التعليم الثانوى « الهو والفراغ » عند
أغلبية الطلبة الساحقة؟؟

٣ - الصعوبة القائمة

وهناك فضلاً عن ذلك صعوبة كبرى هي قبول المدارس الثانوية
لمعد عظيم من الطلبة لا تستطيع أن تقبله فيما بعد الجامعة
والمدارس العالية لأنها لا تتسع له . ويقول بعض حضرات النظار
إن حوالى ٣٠٪ من طلبة البكالوريا يقعون في هذا الشكل ،
ومعضون حياتهم في بأس وقنوط وألم وشقاء . وإذا فإما أن
ينقص عدد المنتخفين بالمدارس الثانوية حتى يستطيعوا أن يجدوا
لهم منفذاً في التعليم العالى ، وإما أن يصبح التعليم الثانوى نفسه
غاية ووسيلة معاً لا وسيلة تمد الناشئ للجامعة فحسب . والحل
الثانى ألتق بمصر ، لأن خمساً وعشرين مدرسة ثانوية للبنين ،
وسبعا أخرى للبنات ، ليس بالمعدد الكثير على بلد سكانه
خمس عشرة مليوناً ! وإذا فلننظر فيما ينبغي أن يكون عليه هذا
التعليم :

٤ - الاصطوح المنسود

ينبنى أولاً أن يسود فيه الشعور بأنه إعداد للحياة لا للدراسة
العليا فحسب . ويتأتى ذلك فيما يرى الدكتور جاكسن بوضع أساس
عملى لا يبنى على « كيف » التعليم فيه ، وذلك بأن ندخل فيه
الزراعة والطباعة وأشغال الخشب والحديد على نحو « جدى »

إبراهيم بك المويلحي

١٨٤٤ - ١٩٠٦

بقلم حفيده إبراهيم المويلحي

تمة ما نشر في العدد الماضي

تم سافر إبراهيم بك إلى باريس سنة ١٨٨٤ م وحرر العدد الرابع من جريدته «الاتحاد» بمد صمت أربع سنوات وطبع منها أعداداً كثيرة ، وكانت أشد لهجة من أخواتها فاستشاط السلطان غيظاً وحنق على إبراهيم حتى أنه أرسل إلى «أسعد باشا» سفير الدولة العلية في باريس بمذكرة مستعجلة يريد بها إبلاغ رغبته إلى الخديو إسماعيل بأن يأمر سكرتيره «إبراهيم بك» بالكف نهائياً عن إصدار جريدة «الاتحاد» المحررة تحت رعاية سموه

فلما تفاوض «أسعد باشا» مع الخديو أعلمه بأن لا بد له فيها مطلقاً وأنه برىء من تلك الظنون . فإ كان من السفير العثماني إلا أن طلب من الحكومة الفرنسية ، بناء على رغبة السلطان ، نفي المترجم له من فرنسا

ولما كان هذا النفي غير مسبوق بأي محاكمة فقد انبرى المسيو بود دي مورسلي Baude de Mauriceley يدافع عن إبراهيم ويستنكر وقوع مثل هذا الإجراء ويأخذ على وزير الداخلية الفرنسية تسليم إبراهيم لأسعد باشا بهذه السهولة ، في مقال نشر في جريدة «الفيجارو» عدد ٣٣١ سنة ١٨٨٤ م اختتمه بقوله : «إني أسأل بصراحة المسيو ولدك روسو Waldačk

Rousseau عن الضرر الذي يسببه وجود إبراهيم بك في باريس . — أم هل فقد بلدنا الجمهوري «حق الإقامة» فيه وأضحى غير قادر على منح الضمان الكافي للحكوم عليهم سياسياً ، وإلا فما هو الأمان الذي يمكن أن يجده عندنا كل غريب فقد حق التمتع بمصالح بلده ؟ ألا يظن حضرة وزير الداخلية أنه من السذاجة أن ننال بسهولة وبدون محاكمة إبعاد محني فرنسي غير راض عن سياستنا الحالية من استانبول أو لندرة مثلاً ، لأنه يصدر جريدة عدائية هناك ؟ »

موقفه أمام القاضي ومخاطبه كما يخاطب التلميذ الأستاذ؟^(١) أليس عندنا من يدرس الفلسفة ليدعي فيلسوفاً ، ثم لا يكون بينه وبين الفلسفة الصحيحة إلا هوة سحيقة من الجهل والاعوجاج ؟ كم من مثات الحقوقيين قد أثبت له قدرأ في عالم القانون ؟ وكم من خريجي التجارة أو الهندسة قد سجل لبلاده نغراً في مجال دراسته الخاصة ؟ إنها إذا لآفة كبرى يجب علاجها علاجاً علمياً صحيحاً ينحصر فيما يسمى الآن « بالتوجيه المهني ! » ويستطيع الأستاذ في ذلك التوجيه أن يدرس ميول الطالب الحقيقية لا الوهمية أو المصطنعة ، وأن يقدم له النصح والإرشاد على أساس هذه الدراسة يستطيع أن يختبر ذكاه وميله الأدبي أو الفني أو العلمي باختبارات خاصة يجرونها الآن في أوروبا وأمريكا ؛ ويستطيع أن يلاحظه ويدرسه عن كثب طيلة أعوام الدراسة ليضم إلى نتائج هذه الاختبارات درابته الشخصية ؛ ويستطيع أن يقول له أخيراً عليك بالآداب أو الحقوق أو الطب أو الصناعة أو التجارة ، لأنك لا تليق ولا تنبع ، ولا توفق ولا تسعد ، إلا في ذلك الذي دلتنى عليه دراستي العلية وخبرتي الشخصية ؛ ثم يستطيع بانصاله بذويه أن يسدي لهم النصح في مستقبل ولدهم حتى لا يقفوا عنرة في السبيل كما أراد لي والدي يوماً أن أدرس « التجارة » وأنا لا أهضم « الحساب » على الإطلاق ، وأخيراً يستطيع الناظر عملاً برأي الأساتذة أن يزود تلميذه بمخاطب خاص يحمله كشهادة محترمة لرؤساء الماهد أو الأعمال التي يريد أن يطرقها كيما يكون « واسطته » فيها . . .

وبذلك وبغيره نوجد أعمالاً للماطلين ، وتوفيقاً ونبوغاً للتعلمين . . .

« ينبع » محمد حسن طائفا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الاميرية

(١) ويرجع جلوس المتقنين عندنا في القامس وانحر. ثم الخلق إلى أسباب أهمها أن المدرسة لم تحيهم في العلم للعلم ، وأنهم لم ينشدوا مهتهم عن ميل صحيح فيهم ، وأنهم يتقنون في عملهم البري ما يفرم من الاشتغال في فراغهم بما يفيد ، وهذه الأسباب جديرة بكل إصلاح لأن العمل إذا لم يتم به الانسان وهو محب له كان مصدر شقاء وانحراف لصاحبه ، وترجع أغلب أعمال المرطين الفاشلة إلى هذا النوع من العمل البغيض